لا بُدَّ لهذا الكون من خالق

صالح الهطالي

أخي المسلم..

إنك منذ خرجتَ من بطن أمك وقعتْ عيناك على أشـــياء مختلفة، ولأنك كنتَ صــغيرًا حينئذ فلم تُفكِّر في تلك الأشــياء، وأما الآن فقد نضــج عقلك، وبدأتَ تُميِّز بين الأشياء لتدرك أن ما تراه بعينك يبدو غريبًا عليك؛ فإنك لو رفعتَ رأسك إلى أعلى لرأيتَ زرقة تمتد في كل اتِّجاه، وأظنُّك تعرف أن هذه هي السماء، ولكن المدهش أن هذه السماء كبيرة جدًّا بحيث تراها في أيِّ مكان ذهبتَ إليه.

أيضًا، فأنت تمشي على هذه الأرض وترى فيها أراضٍ مستوية ممتدة وهضاب وتلال ترتفع قليلًا عن الأرض ولكنها تمتدُّ أيضًا لمسافات بعيدة، وترى جبالًا شامخة ترتفع لتلامس السَّحاب وتمتدُّ لمسافات بعيدة أيضًا، وأظنُّك أيضًا قد رأيتَ البحر ورأيت كمية الماء الذي فيه، ورأيتَ كيف أنه هو الآخر يغطي مساحات كبيرة من الأرض.

أخي: هذه بعض الأمثلة، ولكن أما ســألتَ نفســك: مَن الذي رفع هذه الســماء العالية؟ ومن الذي منعها من الســقوط؟ هل تســاءلتَ: هل يمكن لهذه الســماء أن ترفع نفسها؟ وبالتأكيد، فربما قد توصَّلتَ إلى أنه لا يمكن لهذه السماء أن ترفع نفسها. وأيضًا، هل رأيتَ مرة أحدًا من الناس أو الحيوانات يُمسِــك هذه الســماء أن تقع على الأرض؟ بالطبع، لم يحدث هذا. إذًا، فلا بُدَّ أن تكون هناك قوة عظيمة جدًّا تُمسِك هذه السماء من الوقوع على الأرض. هذه القوة هي الله..

ولنرجع إلى الأرض. هل رأيتَ مرة إنسانًا يبني جبلًا أو تلًّا أو هضبة؟ بالطبع، ستجيب بالنفي، وأظنُّك أيضًا لم ترَ حيوانًا يبني جبلًا، ولم ترَ ترابًا يتجمَّع ويتراكم فيصير جبلًا شامخًا. إذًا، فلا بُدَّ أن مَن أوجَد هذا الجبل هو عظيم جدًّا، وأنه قويٌّ جدًّا، وأنه بديع في هذه الصنعة بحيث أن الجبل رغم ارتفاعه فإنه لا ينهار. أخي، هذه القوة العظمى وهذا الصانع العظيم هو الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

أما البحر فأظنُّك قد لاحظتَ بأنك مهما غرفتَ من مائه فإنه لا يُنقِص منه شيئًا، وأنه مهما وُضِع فيه من ماء فلن يزيد من مائه شيئًا، وأنك لو حاولتَ صبَّ ماء على أرض حتى تكون بحرًا فلن تستطيع. وأخالك أيضًا لم ترَ يومًا الأرض تنفجر حتى خرج منها الماء فتكوَّن بحرٌ كهذا الذي رأيته؟ بالطبع، كل هذا لم يحدث، وأظنُّك أدركتَ أن الذي أوجَد هذا البحر لا بُدَّ أن يكون عظيمًا جدًّا، بحيث أوجَد الأرض المنخفضة وملأها بمثل هذه الكميات الضخمة من المياه. هذا العظيم القادر على إيجاد مثل هذه الأشياء العظيمة هو الله.

أخي، بإمكانك أن تتفكَّر فيما حولك وتُسائل نفسك: مَن أوجد هذه الأشياء؟ وهل بإمكان إنسان أو حيوان إيجادها؟ وهل بإمكانها إيجاد نفسها؟ وستصل في كل ملاحظة أنه لا بُدَّ أن تكون هناك قوة عظيمة بديعة الصُّنع تُتقِن إيجاد الأشياء أيَّما إتقان. وأنا أقول لك في كل مرة بأن تلك القوة وذلك المبدع هو الله العظيم الذي أوجَد كل شيء في هذا الكون بدقة، ولأنه قويٌّ فإن بإمكانه إيجاد أيِّ شيء متى شاء، ولا يستطيع أحد أن يعترض عليه، ولأنه مبدع فإن كل شيء في هذا الكون يبدو لنا جميلًا متناسقًا فالله يحسن الصنعة، {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (المؤمنون: ١٤).